زلة القول

زار الشاعر أحمد البدري منطقة (أبها) وكأنه تأثر فيها بشدة البرد فحمل عليها حملة عنيفة وأنكر جمالها ونقاء جوها فكان لزاماً علينا أن نعارضه في رأيه بالقصيدة التالية انتصاراً للحق لا أخذاً بالثأر . .

لكل قول مدى الأزمان خذلانُ
إن لم يقمه على الإنصاف ميزان

وزلة القول يهوي في مداركها
من خانه الفهم أو أغواه شيطان

فمنذ أنْ ردد (البدري) قولته
في ذم (أبها) وللأطياف طوفان

وجاءَ طيفي له في الأفق جلجلة
تفور منها القوافي فهي بركان

عجبت من شاعر ندّت مشاعره
فما رأى روضة بالزهر تزدان

يطوي الحقائق في الأعماق، يدفنها
كأنه متعب الأفكار «غلبان»

تلك المقالات قد غالى فسطّرها
وما إخال بأن يعلو لها شان

فهـاك نقضـاً لها لا أبتغي جـدلا
وإنمـا الحـق في المـيـدان سـلطان
أمـا الغبـار فـلا يبـدو لـه شبـح
في أفـق (أبها) فـذاك القول بهتـان
لأنها في الـذُّرا بـاتـت محصنـة
يحيطهـا من سياج الزهـر ألـوان
وقـولـكـم في عـتـاب أنها بـلـد
(لا يستريـح به في الـدهر إنسـان)
فـذلـك القـول لا يـرقى لعـزتها
ولا يـقـول بـه يـا صـاح يـقـظان
وليس قـولـك يخفي من محـاسنها
فـالنـاس تعـرفها أيـان مـا كـانـوا
هي الجمـال، هي المصطـاف، يقصدها
من كل صقع مـدى الأزمان إخـوان
فيها (القرى) و(الصفيح) الغض منظره
في سوحها (الخشع) و(الصفرا) و(لبنان)[1]
فكيف أغضيت طـرفـاً عن محاسنها
أمـا استمال القـوافي منـك وجـدان؟
وقلـت في نشـوة الأوهـام مـرتجـلا
(وليس فيهـا وحق الحسن بـسـتـان)

(١) هذه أحياء من مدينة أبها . .

أمـا تـدرَّجْـت في شتَّى مـرابعـهـا
أليس منـها (ضبـاعـات) وجوحـان[1]

منها (العرين) ومنها (البصرة) انتظمت
وطـاب من غـرسهـا خـوخ ورمـان

فيهـا البسـاتين تغـري في منـاظـرهـا
وزهـرة الروض في الواحـات (نعمان)

* * *

وقلتَ في لهجـة الملهـوف من كمـد
عـلى زمـان مضى فيهـا لـه شـان

(فـما رأيـنـا بهـا ورداً ولا زهـراً
وإنمـا هـي أطـلال وكـثـبـان)

ومـا إخـالـك تـدري عـن مـرابعهـا
ولا يـتـوق إلـيـهـا مـنـك تـبـيان

فقـد حكمـت بقـول نـدّ مضـر بـه
كـأنمـا قـلتـه والـقـلـب حـيـران

قد تنكر العين نور الشمس من وسَنٍ
ومـا عـلـيـه إذا مـا غـطَّ وسـنـان

* * *

---

(١) احياء في مدينة (أبها) .

ما زلت أعجب من قول نطقت به
وما لديك على ما قلت برهان
أطلالها معقل الأمجاد من قدم
ولا يزال بها شيب وشبان
قوم إذا ما دعى الداعي لمعركة
هبوا أسوداً لها في السبق ميدان
شمّ الأنوف متى هاجت مواكبهم
قاد الكتائب في الغارات شجعان
ومن أخص صفات القوم أنهمُ
للضيف أُنسٌ وللمظلوم أعوان
فجانب الذمّ عن (أبها) وبهجتها
وحكِّم العقل إن العقل ميزان
ولو تجولت في شتّى مصايفها
لراعك الورد واستهوتك أفنان
أما رأيت جبال (السّودة) اصطبغت
بعاطر الورد والأزهار تزدان
كم بلبل صادحٍ يشدو برونقها
يردد اللحن فيها وهو جذلان
يكسو التلال سياج من خمائلها
والوَرْسُ بُرْدٌ وزهر الروض ألوان

فيها عبير الشذى يغري بنشوته
وللأريج بها نفح وعرفان
ولو تدرّجت في أعلى مشارفها
أتاك من نفحها روح وريحان
لكن كفتك بطاحُ الأرض منتجعاً
فما تسامى (لأبها) منك وجدان